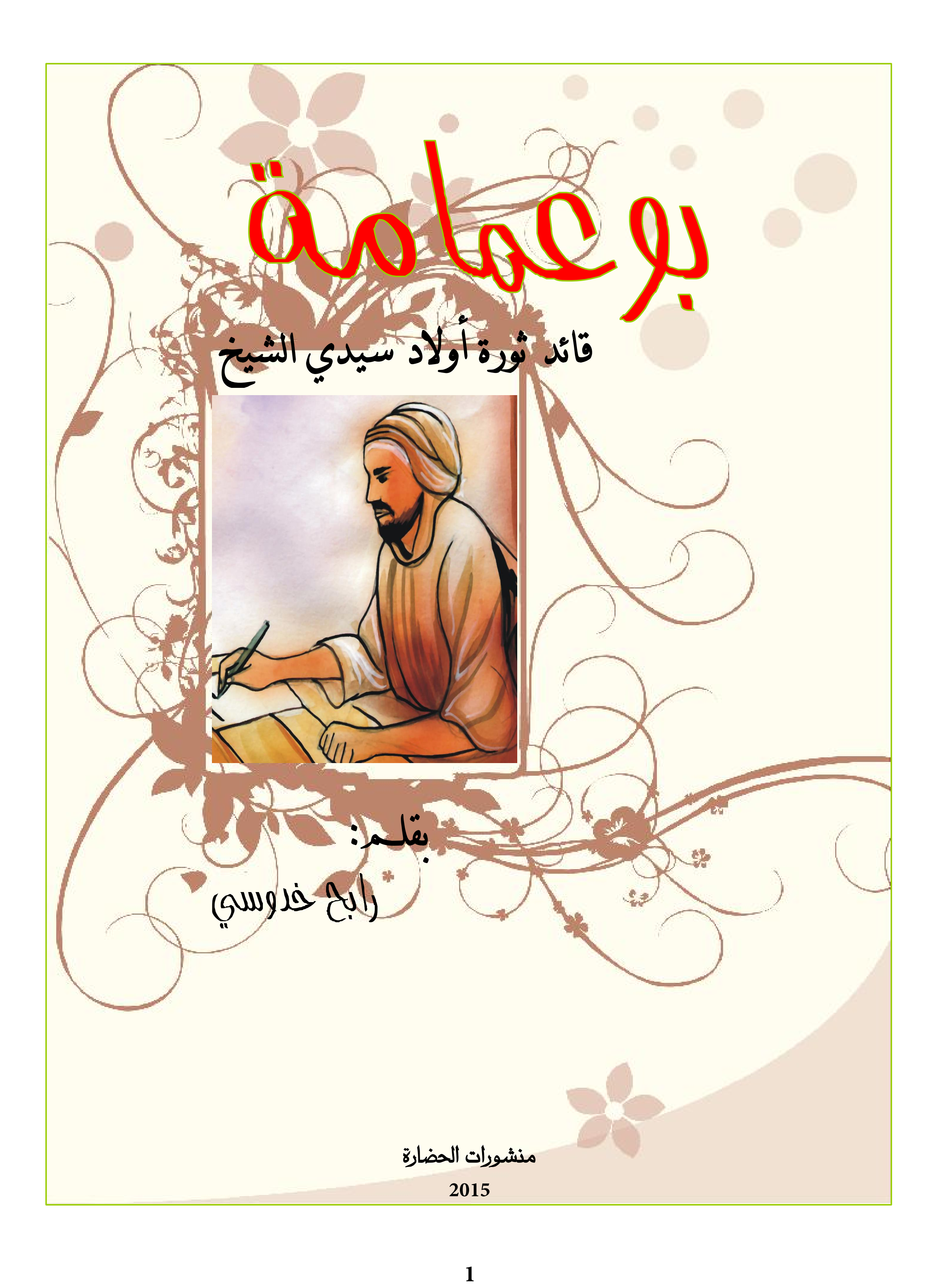


بوعمامة

قائد ثورة أولاد سيدي الشيخ

بقلـم:

رابح خدوسي

منشورات الحضارة

2015



منشورات الحضارة
ص ب 04 (A) بئر التوتة -الجزائر 16045
هاتف/فاكس: 46. 70. 41. 21(00213)
البريد الإلكتروني: kheddoucir@yahoo.com

الشيـخ بوعمامـة

(1908-1845)

نَسَبُهُ ومِيلاَدُهُ:

هُوَ بُوعمَامَة العَرْبِي البُوشِيخِي البَكْرِي يَعُودُ نَسَبُهُ إِلَى الخَلِيفَةِ الأَوَّلِ أَبِي بَكر الصِّديق رَضِي الله عَنْهُ.

وُلِدَ عَام 1256هـ المُوَافِقِ لـ1845م بِقَصْرِ الحَمَّام الفوقَانِي وَاحَات فَكِيك.

تَعَلَّمَ كَأَبْنَاءِ جِيلِهِ مَبَادِئَ العُلُومِ الدِّينِيَّة بَعْدَ أَنْ حَفِظَ القُرآنَ الكَرِيمَ.



نَشاطُهُ العَسْكَرِي وَالدِّينِي.

كَانَت الجَزَائِـرُ عِنْـدَ مِـيلاَدِ بُوعمَامَـة تُعَـانِي وَيْـلاَتِ الاسْـتِعْمَارِ الفرَنْسِي الذِي كَانَ يَتَاهَّبُ لمَدِّ نُفُوذِهِ عَلَى الجَنُوبِ بِقُوَّةِ الحَدِيدِ وَالنَّارِ المُتَمَثِّلَةِ فِي الحُكْمِ العَسْكَرِي ... مِمَّا أَثَارَ هِمَمَ الشَّابِّ بُوعْمَامَة فَتَأَهَّبَ لِمُوَاجَهَةِ المُسْتَدْمِر حَيْثُ بَدَأَ سَنَةَ 1860م بِنَشْرِ الدَّعْوَةِ إلى مُحَارَبَةِ الاسْتِعْمَارالأَجْنَبِي، ثُمَّ شَرَعَ يُحَضِّرُ لِلأَعْمَالِ المُسَلَّحَةِ بِالإغَارَةِ عَلَى القَوَافِلِ التِّجَارِيَّةِ وَالمَرَاكِز الفرَنْسِيَّةِ فِي جَنُوبِ وَهْرَان، وَاتَّصَلَ بِالقبَائِلِ وَالعَشَائِرِ قَصْدَ تَعْمِيمِ النِّدَاءِ لِلجِهَادِ وَكَانَت البِدَايَـةُ فِي 16 فبرايِر1881م ببئر الغرَامَة ضِدَّ حَمْلَةٍ اسْتِكْشَافِيَّةٍ مُتَمَوِّهَةٍ بِمُهِمَّةِ حَمْلَةٍ تَنْصِيرِيَّةٍ.



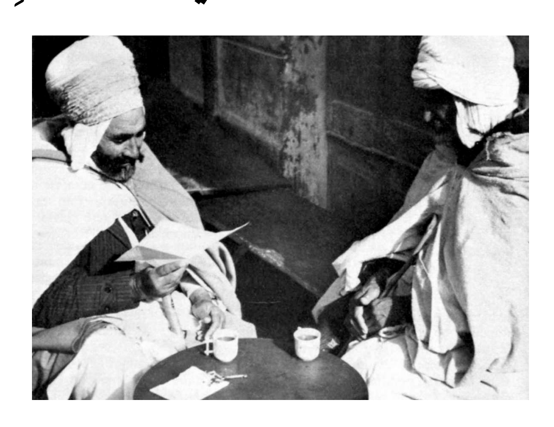
وَفِي شَهْرِ أفريل 1881م نَادَى الشّيخ بُوعمَامَة بِالجِهَادِ فَوَاجَهَ مَعَارِكَ عَدِيدَةٍ مَعَ فرَنْسَا مِثْلَ: مَعْرَكَةِ الخَيْثر، مَعْرَكَة مُولاَق، مَعْرَكَة تَازِينَة ومَعْرَكَة الشَّلاَّلَة التِي خَسِرَت فِيهَا فرَنْسَا 60 جُنْدِيًّا...

أَسَّسَ زَاوِيةً فِي مقرار عام 1872م وَأُخْرَى بِالوَادِي قُرْبَ عين الرّهينَة سَنَةَ 1883م.

وَفَاتُهُ: تُوفِّي يَومَ الأَرْبِعَاء 7 أكتوبر 1908م فِي وَادَي بُودرِيم.

المآثِر:

- يُعْتَبَرُ الشَّيخ بُوعمَامَة أَشْهَرَ بَطَلٍ فِي ثَوْرَةِ أولاَد سيدِي الشِّيخ.
- يُعَدُّ الشَّيخ بُوعْمَامَة رَمْزَ الجِهَادِ الإِسْلاَمِي ضِدَّ النَّصَارَى المُحْتَلِّين.
- أُنْتِجَ فِيلمٌ مُصَوَّرٌ عَن حَيَاةِ بُوعمَامَة.
- سُمِّيَت بِاسْمِهِ عِدَّةُ مُؤَسَّسَاتٍ مِن بَيْنِهَا ثَانُوِيةُ المُرَادِية بِالجَزَائِر قُربَ مَقَرِّ رِئَاسَةِ الجُمْهُورِيَّة.
- أُنْشِئَت مُؤَسَّسَةُ الشَّيخ بُوعمَامَة فِي نِهَايَةِ القَرْنِ المَاضِي (1999)





خريطة الجمهورية الجزائرية

مَلْحَمَةُ أَوْلَادَ سِيدِي الشَّيخ

(قصّة تاريخية)

للمؤلف رابح خدوسي

فائزة بجائزة وطنية في مسابقة القصة

المتحف الوطني للجهاد - الجزائر

أكتوبر 1996

مَلْحَمَةُ أَوْلاَدِ سِيدِي الشَّيخ

جَمَعَ الأُسْتَاذُ أَدَوَاتِهِ وَاسْتَعَدَّ لِلخُرُوجِ بَعْدَ أَنْ رَنَّ الجَرَسُ فِي سَاحَةِ الثَّانَوِيةِ رَنِينَ السُّؤَالِ فِي أَعْمَاقِهِ مُنْذُ حِينٍ...

كَانَ سُؤَالاً بَرِيئًا تَفَوَّهَ بِهِ أَحَدُ الطَّلَبَة: لِمَاذَا صَارَ اسْمُ الثَّانَوِيَّةِ "بُوعمَامَة" بَعْدَ أَنْ كَانَ "دِيكَارت" ؟؟



وَقَفَ الأُسْتَاذ (ابراهيم الشّيخ) عِنْدَ مَدْخَلِ الثَّانَوِيَّة يَتَأَمَّلُ الاسْمَ الجَدِيدَ، مَلأَ رِئَتَيْهِ بِنَفَحَاتٍ مِن أُكْسِجِين المَاضِي البَعِيدِ فَانْهَمَرَت عَلَى ذَاكِرَتِهِ صُوَّرٌ شَتَّى مِن أَحْدَاثِ الزَّمَنِ، زَمَنُ الصِّبَا... رَأَى نَفْسَهُ جَالِسًا قُرْبَ أُمِّهِ التِي كَانَت تَطْحَنُ حَبَّاتِ القَمْحِ بِوَاسِطَةِ الرَّحَى التَّقْلِيدِيَّة فَتَتَطَايَرُ ذَرَّاتُهَا فِي الهَوَاءِ لِتُشَكِّلَ طَبَقَةً بَيْضَاءَ رَفِيعَةً عَلَى وَجْهِ أُمِّهِ الأَسْمَرِ فَيَبْدُو كَلَوْحَةٍ فَنِّيَّةٍ لأُفُقِ هَضَبَةٍ صَحْرَاوِيَّةٍ عِنْدَ الغُرُوبِ، مِمَّا زَادَ مُحَيَّاهَا رَوْعَةً وَبَهَاءً...





كَانَـت الرَّحَى تَـدُورُ حَـوْلَ مِحْوَرِهَا فَتُطْلِـقُ نَغَمًا مُتَتَالِيًا تُحَـاكِي إِيقَاعَاتُهُ أَحْزَانَ الزَّمَنِ، تَتَفَاعَـلُ الأَنْغَامُ مَـعَ الأَحْـدَاثِ فِـي وجْـدَانِ الأُمِّ فَتُطْلِقُ حُنْجُرَتُهَا مَوَّالاً يَجُرُّ خَلْفَهُ أَكْثَرَ مِن أَلفَيْ سَنَةٍ مِن الحَضَارَةِ عَبْرَ امْتِدَادِ مَنْطِقَـةِ "البيّض" جَنُوبَ الأَطْلَـسِ الـصَّحْرَاوِي حَيْثُ تَبْـدُو عَلَـى جِسْمِهَا المُعَـصْفَرِ شَـوَاهِدُ أَثَرِيَّـةٌ عَلَـى الـزَّمَنِ البَائِـدِ.. الـزَّمَنِ الحَجَـرِي المُخَلَّدِ فِي ذَاكِرَةِ الصُّخُورِ عَبْرَ رُسُومٍ لِحَيَوَانَـاتٍ ضَـخْمَةٍ كَأَنَّهَـا تَجَاعِيـدٌ فِي جَبِينِ الدَّهْرِ،، مُـرُورًا بِمَتْحَفِهَا الطَّبِيعِي فِي ضَوَاحِـي" بُـوعْلاَم" حَيْثُ مَقَامُ رَمْزِ إِلَهِ الخصْبِ عِنْدَ الفَرَاعِنَةِ تِمْثَالُ "آمُـون" المُجَـسَّمِ فِـي شَكْلِ كَـبْشٍ عَلَـى رَأْسِـهِ شَـمْسٌ، إِنَّـهُ الـشَّاهِدُ الأَبَـدِيُّ عَلَـى الاتِّـصَالِ وَالتَّفَاعُلِ بَيْنَ سُكَّانِ المَغْرِبِ وَالمَـشْرِقِ... وَكَذَا مَلاَمِـحٌ نَاطِقَـةٌ وَسِـمَاتٌ بَارِزَةٌ عَلَى الوُجُوهِ لبَنِي هِلاَلٍ، وَنُبْـلِ العِـرْقِ وَشَـرَفِهِ الـذِي يَتَجَـذَّرُ مِـن نَـسَبِ أَبِـي بَكْـرِ الـصِّدِّيق فَيَنْبُـتُ مِنْـهُ سِـيدِي الـشَّيخ وَأَوْلاَدُهُ...

كُلُّهَا تَـتَلَاحَمُ مَـعَ الـصِّفَاتِ وَالخَـصَائِصِ البَدَوِيَّةِ كَحِرْفَـةِ الرَّعْـيِ وَحَيَاةِ التِّرْحَالِ وَالخِيَامِ، وَالكَرَمِ والفُرُوسِيَّةِ وَنَظْمِ الشِّعر..

بُوزيَّان القلعِي،،،، يَمْشِي الوَادْ الـوَادْ مَاعَنْـدُه أَوْلَاد.

بُوزيَّان القلعِي،،،، يَمْشِي الكَافْ الكَافْ قلِيلْ الأَكْتَاف.

خَلّى الفرَاش مفرَّش،،،، خَلّى الطِّير مريَّش،،، بُوزيَّان القلعِي.



تُرَدِّدُ الأُمُّ هَذِهِ المَقَاطِعَ فِي انْـسِجَامٍ تَـامٍّ مَـعَ صَـوْتِ الرَّحَـى الـذِي يُـشْبِهُ هَـدِيلَ الحَمَـامِ المُتَوَاصِـلِ،، يَـسْتَعْذِبُ الطِّفْلُ ابْـرَاهِيمُ اللَّحْـنَ الجَمِيلَ وَيَنْظُـرُ بِعَيْنَيْنِ زَائِغَتَيْنِ مُسْتَعْطِفًا أُمَّهُ المَزِيـدَ، بَعْدَ تَوَقُّفِـهَا عَنِ الغِنَـاءِ بِصَوْتِهَا الرَّقِيقِ العَذْبِ، فَتَبْتَسِمُ لَهُ ثُمَّ تُـرِيحُ يَـدَهَا اليُمْنَـى بِيَدِهَا اليُسْرَى عَلَى وَتَدِ الرَّحَى، فَيَبْدُو ذِرَاعُهَا وَقَدْ نُقِشَتْ عَلَيْهِ رُسُومُ وَشْمٍ أَخْضَـرٍ جَذَّابٍ... وَتَبْدَأُ فِي مَوَّالٍ آخَرَ لِمَلحَمَةٍ أُخْرَى...

سِيدِي بُوعمَامَة حِكْمَة ودِين وفْهَامَـه
سِيدِي بُوعمَامَة قَائِد الأَبْطَال وَالزُّعَمـا
مِن غَرْدَايَة للأَغْوَاط لوَهْرَان وَالنّعَامَــة
سِيدِي بُوعمَامَة جَاهَد العـدُو الفَتّـان
اللِّي هَـدْ قُبَّة سِيـدِي مُـولْ الـشَّان
الـقُـطْب الـرُّوحَـانِـي وَأَوْلَادُه الأَحْــرَار
الأَبْطَال اللِّي جَاهْدُوا ظُلْم الاستِعْمَـار

وَتَـصْمُـتُ الأُمُّ مَـرَّةً ثَانِيَـةً لِتَسْتَـسْلِمَ لِـتَفْكِيرٍ طَوِيـلٍ،، أَطْلَقَـت العِنَـانَ لِبَصَرِهَا يَمْتَدُّ بَعِيدًا عَبْرَ شُرُودٍ ذِهْنِي غَرِيبٍ، كَانَت خِلَالَهُ تَسْتَرْجِعُ ذِكْرَيَات المَاضِي المَمْزُوجَةِ بِحَدِيث أُمِّهَا عَـن القُـدُومِ الفرَنْـسِي الـذِي أَنْـشَأَ مَرْكَـزًا عَسْكَرِيًّا بِالبيِّض سَنَةَ 1852م وَغَيَّرَ اسمَ المَدِينَـةِ مِـن بَيَاضِـهَا إِلَـى سَـوَادٍ آثِمٍ الكولونيل "جيري " الذي جَاءَ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى رَأْسِ قُـوَّاتٍ فرَنْـسِيَّةٍ يَـوم أَنْ شَهِدَتْ ضَوَاحِـي "بريزينة" مَعْرَكَتَـهُ مَـعَ جَـيشِ الأَمِـيرِ عَبْد القَـادِر.. وَصَارَتْ "جِيرِي فِيل" مَدِينَةً لِلْحُكْمِ العَسْكَرِي، فَأَبَاحَ عِزَّتَهَا وَكِبْرِيَاءِهَا، وَنَفَثَ حِقْدَهُ وَقَسْوَتَهُ وَغَضَبَهُ عَبْرَ شَوَارِعِهَا وَامْتِـدَادَاتِهَا وَأَبْعَادِهَـا أَرْضًـا وَجَـوًّا... وَانْفَجَرَت شَفَتَا الأُمِّ عَنْ سُؤَالٍ بُرْكَانِي بَدَّدَ سُكُونَ عَالَمِ طِفْلِهَا:



زعماء ثورة أولاد سيدي الشيخ



ضريح سيدي الشيخ (القبة)
بمدينة الأبيض سيدي الشيخ.

لِمَاذَا هَدّمَت فِرَنْسَا قُبَّةَ سِيدِي الشِّيخ،، لِمَاذَا؟؟

انْهَمَـرَ الدَّمْـعُ مِنْ عَيْنَيْهَا وَهِيَ تَتَذَكَّرُ حُزْنَ أُمِّهَا عَلَـى القُبَّـةِ الـذِي رَافَقَهَا عُمْرِهَا... حَيْثُ كَانَت مَوَاعِيدُ الجُمُعَةِ، أَيّامَ الزِّيَارَة لِسِيدِي الشّيخ وَإِخْرَاجِ الصَّدَقَاتِ للفُقَرَاءِ تَبَرُّكًا بِسِيدِي الشّيخ وتَقَرُّبًا مِن صَفْوَةِ الوَلِيّ الصَّالِحِ....

سَأَلَهُ أَحَدُ الطَّلَبَةِ، يَاشَيخ لِمَاذَا سَمَّوكَ الشَّيخ وَأَنْتَ صَغِيرُ الـسِّنِّ؟ ابتَسَمَ طُلاَّبُ القِسْمِ وَصَمَتَ الأُستَاذُ ابْرَاهِيمُ بُرْهَةً مِن الـزَّمَنِ بَعْـدَ أَنْ شَارَكَهُم الابتِسَامَةَ ثُمَّ شَرَعَ فِي الإِجَابَةِ بَعْدَ تَرَدُّدٍ مَلْحُوظٍ.

"هَذَا الاسْمُ تَاجٌ يَحْمِلُهُ الكَثِيرُ من أَبْنَاءِ الجَنُوبِ الغَرْبِي- فِي وَطَنِنَا- تَيَمُّنًا بِالوَلِيّ الصَّالِحِ الـصُّوفِي سِـيدِي الـشّيخ وَاسْـمُهُ عَبْد القَـادِر بْـن سُلَيمَان بْن أَبِي سَـمَاحَة وُلِـدَ سَنَـةَ 951هــ بِمَـا يُوافِـقُ عَـام 1544م، عَاشَ حَيَاةَ التِّرْحَالِ بَيْنَ الفَيَافِي وَنَظْمِ القَوَافِي، أَنْشَا زَاوِيَةً مُتَنَقِّلَةً إِلَى اتِّجَاهَـاتٍ شَـتَّى... حَتّـى تِلِمْـسَان وَوَهْـرَان،، اتَّـسَعَت شُـهْرَتُـهُ حَتَّـى بَلَغَت الآفَاقَ،، كَمَـا امْتَـدَّ صَـدَى قَـصِيدَتِهِ(اليَاقُوتَـة) التِـي سَـجَّلَ فِيهَـا تَجْرِبَتَهُ الصُّوفِيَّةَ وَرَدَّ عَلَى بَعْضِ الأَبَاطِيـلِ، إِلَـى أَعَـالِي التَّـلِّ وَأَقَاصِـي الوَاحَاتِ.

فِي جِبَالِ القصُور كَانَ مَوْعِدُهُ مَع نِهَايَة الأَجَلِ (1025هـ/1616م) وبِمُوجَبِ وَصِيَّتِهِ دُفِنَ فِي البَيُّوض المَدِينَة التِي تُسَمَّى حَالِيًا (الأَبْيَض سِيدي الشّيخ) نِسْبَةً إِلَيهِ، وَكَانَتْ تَرِكَتُهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فِكْرًا رُوحِيًّا أَصِيلاً يُشِعُّ عَلَى السُّكَّانِ بِنُورِ الهِدَايَةِ والإِيمَانِ، وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ وَلَدًا كَوَّنُوا بَعْدَهُ قَبَائِل وَأَشْعَلُوا ثَوْرَةً جِهَادِيَّة تُسَمَّى- ثَوْرَةُ أَوْلَاد سِيدِي الشِّيخ - أَمْثَالُ سِي سلَيمَان وَسِي أَحْمَد وَسِي لَعْلَى وَبُوعْزِيز وَبَن نَاصر وَلْد حَمْزَة وَسِي لَزْرَقْ وَسِي معَمَّر وَبُوعْمَامَة وَبن الطَّيَب وَغَيرِهِمْ..



تهَاطَلَتِ الأَسْئِلَةُ وَتَنَوَّعَت فَغَرِقَ الأُسْتَاذُ فِي بَحْرٍ لاَ سَاحِلَ لَهُ مِن الأَفْكَارِ وَالاسْتِفْسَارَاتِ التِي تَحْتَاجُ أَجْوِبَتُهَا إِلَى كُتُبٍ وَمُجَلَّدَاتٍ...

أَحْرَجَهُ صَمْتُ الطَّلَبَةِ وَحَاصَرَتْهُ نَظَرَاتُهُم المُرَكَّزَةُ وَرُؤُوسُهُم المُشْرَئِبَّةُ فَجَمَعَ كُلَّ قُدُرَاتِهِ العَقْلِيَّةِ مِن ذَكَاءٍ وَدَهَاءٍ وَخِبْرَةٍ وَمَعْرِفَةٍ لِلْخُرُوجِ مِن هَذَا المَوقِفِ مُنْتَصِرًا، وَزَادَ فِي تَشْجِيعِهِ عَلَى ذَلِكَ لَذَّةُ الإِجَابَةِ بَعْدَ أَنْ أَطْرَبَتْهُ الأَسْئِلَةُ، قَالَ فِي نَفْسِهِ:



- إِذَا كَانَت أُمِّي عَاجِزَةٌ عَنْ مَعْرِفَةِ سَبَبِ هَدْمِ قُبَّةِ سِيدِي الشّيخ يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ الأَجْيَالُ أَسْرَارَ وَأَبْطَالَ وَخَصَائِصَ جِهَادِ أَوْلَاد سِيدِي الشّيخ، وَإِذَا أَخْبَرَنَا التَّارِيخُ بِأَنَّ (أَبْرَهَةَ) الحَبَشِي حَاوَلَ تَهْدِيمَ الكَعْبَة

عَامَ الفِيل الذِي وُلِدَ فِيهِ مُحَمَّد (صلى الله عليه وسلم) فَإِنَّ (نِيقري) الفرَنْسِي حَطَّمَ القُبَّةَ -المَحَجَّةَ الرَّمْزِيةِ- بَعْدَ وَاحِد وَثَمَانِينَ وَثَمَانمائة وَأَلفْ من مِيلاَدِ المَسِيح "عَام الخَيل"، وَمَا أَشْبَهَ القُبَّةَ مِن الكَعْبَةِ، وَمَا أَقْرَبَ الخَيلَ مِنَ الفِيلِ...

تَأَمَّلَ الأُسْتَاذُ ابْرَاهِيمُ فَضَاءَ القِسْمِ الدِّرَاسِي مَلِيًّا وَبَعْدَ أَنْ فَكَّرَ وَتَدَبَّرَ قَرَّرَ:

- عِنْدِي فِكْرَةٌ تُجِيبُ عَن أَسْئِلَتِكُم،، البَحْثُ الجَمَاعِي فِي ذَاكِرَةِ التَّارِيخِ...

تَعَجَّبَ بَعْضُ التَّلاَمِيذِ وَاسْتَغْرَبَ آخَرُونَ رَأْيِ الأُسْتَاذِ وَتَعَلَّقَ البَقِيَّةُ بِمَعْرِفَةِ الحَقِيقَةِ بِأَيَّةِ وَسِيلَةٍ...



وَفِـي دَقَائِــقَ مَعْـدُودَةٍ تَــوَزَّعَ مَجْمُـوعُ الطَّلَبَـةِ عَلَـى أَفْـوَاجِ بَحْــثٍ وَصُنِّفَت الأَسْئِلَةُ فِي مَحَاوِرَ وَعَنَاصِرَ تَكَلَّفَ كُلُّ فَوجٍ بِمِحْوَرٍ، فِي غَمْـرَةِ حَمَاسٍ وَنَشَاطٍ مُدْهِشَيْنِ، أَضْفَى عَلَيهِمَا الأُسْتَاذُ ابْرَاهِيمُ الشّيخ جِدِيَّةَ المُرْشِدِ النَّصُوحِ لَمَّا أَوْصَاهُم بِقَولِهِ:

هَـذِهِ الذَّاكِـرَةُ الـشَّعْبِيةُ أَمَـامَكُم اسْأَلُوا الجَمِيـعَ: الرِّجَـالُ وَالنِّـسَاءُ صِغَارًا وَكِبَارًا، وَهَذِهِ الـذَّاكِرَةُ الطَّبِيعِيـةُ سِجِلٌّ مَفْتُـوحٌ لأَحْـدَاثِ الـزَّمَنِ، اسْأَلُوا الشَوَاهِدَ وَالآثَارَ وَالرُّسُـومَاتِ عَلَـى الأَحْجَارِ، نَقِّبُوا، إِبْحَثُـوا فِي بُطُـونِ الكُتُـبِ وَأَرْوِقَـةِ المَتَـاحِفِ وَأَضْـرِحَةِ الأَوْلِيَـاءِ وَمَقَـابِرِ الـشُّهَدَاءِ،، وَرَاسِلُوا أَصْدِقَاءَكُم فِي كُلِّ مَكَانٍ... وَبَعْدَ شَهْرٍ مِن عُمْرِ الزَّمَنِ يُفْـرِغُ كُلُّ فَوجٍ حُمُولَتَهُ التَّارِيخِيَة المُكْتَشَفَةِ.



وَيَعُودُ صَـوْتُ التَّـارِيخِ بَعْدَ شَـهرٍ فِي نَغَمٍ جَدِيـدٍ، يَعُـودُ التَّـارِيخُ لِثَـوْرَةِ أَوْلَادِ سِيدِي الشَّيخ مَعَ ثُلَّةٍ مِنَ الشَّمَارِيخِ...

فُوجِئَ الأُسْتَاذُ ابْرَاهِيمُ المُدَرِّسُ لِمَادَّةِ التَّارِيخِ بِالطَّرِيقَةِ التِي اقْتَرَحَهَا الطَّلَبَةُ لِتَقْدِيمِ بُحُوثِهِم... التَّحَـدُثُ بِاسْـمِ أَبْطَالِ الجِهَـادِ... يَالَـهُ مِـنْ أُسْلُوبٍ فَنِّي جَذَّابٍ لِإِحْيَاءِ التَّارِيخِ فِي ثَوْبٍ جَدِيدٍ!!

وَقَفَ مُمَثِّلُ الفَوجِ الأَوَّلِ وَبِصَوتٍ جَهْوَرِي وَلِسَانٍ فَصِيحٍ:

اسْمِـي سِـي سلِيمَـان بن حَمْزَةَ بن مُحَمَّد مِن أَولَادِ سِـيدِي الـشّيخ مُهِمَّتِي قِيَادَةُ الثَّورَةِ ضِدَّ الاحْتِلَالِ الفرَنْسِي الذِي خَرَّبَ البِلَادَ وَأَذَلَّ العِبَادَ وَاعْتَقَلَ القَبَائِلَ فِي المُعَسْكَرَاتِ وَصَادَرَ الأَرَاضِي...



فِـي لَيْلَـةِ الـسَّابِع مِـن أَبْرِيـل عـام 1846م هَاجَمْـتُ الكُولُونيـل الفرَنْسِي"بوبريتر" وَجُنُودَهُ الذِينَ جَاؤُوا فِي اتِّجَاهِ جَبَلِ عَمُّور بِأَمْرٍ مِن الجِنِرَال "بيليسي" وَالتَقَـى الجَمْعَانِ وَهَلَكَ الكُولونِيل وَانْـضَمَّ إِلَـى جُنُودِنَا مَنْ كَانُوا يُرَافِقُونَـهُ مِـن (الـصبَايحِيَّة) وَ(القُـومْ)، فَتَحَمَّـسَتِ القَبَائِلُ وَامْتَدَّتِ الثَّورَةُ حَتَّى عَمَالَـةِ التِّيطْرِي وَمَنْطِقَة القَبَائِـلِ، فَفَزِعَ العَدُوُّ ثُمَّ هَاجَ وَمَـاجَ وَأَرْسَـلَ جَيْشًا عَرَمْرَمًـا، لَكِنَّ ثَوْرَتَنَـا اسْـتَمَرَّت وَتَعَزَّزَت بِأَوْلَاد سِـيدِي الـشّيخ الغَرَابَـة عَلَـى الحُـدُودِ المَغْرِبِيَّـة، رَغْـمَ مَكَائِدِ العَدُوّ الذِي دَبَّرَ خَمْسَ مُؤَامَرَاتٍ لاغْتِيالِي فَلَمْ يُفْلِحْ... وَكَانَ مَا كَان...



جَلَسَ الطَّالِبُ بَعْدَ أَنْ صَمَتَ قَلِيلاً وَأُطْرِبَ كَثِيرًا بِإِعْجَابِ زُمَلَائِهِ وَثَنَاءِ أُسْتَاذِهِ.

قَامَ مُمَثِّلُ الفَوْجِ الثَّانِي فِي عِزَّةٍ وَشُـمُوخٍ وَبَعْدَ أَنْ فَحَصَ الزَّمَـانَ وَالمَكَانَ كَأَنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ صَهْوَةِ جَوَادٍ أَصِيلٍ لِيَمْتَطِيَهُ، أَطْرَقَ قَلِيلاً ثُمَّ قَالَ:

- اسْتَمَـرَّت الاضْطِرَابَات وَكَثُرَتْ أَعْرَاسُ الدَّمِ التِي أَقَامَهَا العَدُوّ حَيْثُ أَخْضَـعَ عُمَّالَ العَمَالَاتِ لِلسُّلطَةِ العَسْكَرِيَّـةِ مُحَـاوِلاً إِبَادَةَ الـسُّكَّانِ بَعْدَ أَنْ اغْتُصِبَت الأَرَاضِـي وَحُدِّدَتِ المَرَاعِـي،، وَمِـن مُعَـسْكَرِنَا بِالحُدُودِ المَغْرِبِيـةِ انْطَلَقْتُ مَعَ جَمْعٍ مِن أَوْلَاد سِيدِي الشَّيخ...

المَكَان: سبْدُو، التَّارِيخُ: 1872م، القَائِدُ: البَطَلُ سِي قَدُّور بن حَمْزَة، المَعْرَكَـةُ كَبِيرَةٌ كِبَرَ حُبِّنَا لِدِينِنَا وَبَلَدِنَا، وَالوَاقِعَةُ مُدَوَّنَـةٌ فِي سِجِلِّ الزَّمَنِ عَلَى صَدْرِ التَّارِيخِ الحَدِيثِ مَنَارًا لِلأَجيَالِ القَادِمَةِ.



وَيَأْتِي دَورُ الشَّاعِرِ الكَبِيرِ مُحَمَّد بلخِير، شَاعِرُ الثَّورَةِ، ثَوْرَةُ أَولَاد سِيدِي الشّيخ، فَيَقِفُ مُمُثِّلُ الفَوجِ الثَّالِثِ كَالعِمْلَاقِ مَرْفُوعَ الهَامَةِ مُعْتَدا بِنَفْسِهِ، تَامَّلَ الكُلَّ مَلِيًّا ثُمَّ نَطَقَ شِعرًا:

أَنَا خْدِيم رَحْل البَيْضَا زِينْ القْبَاب ❖ مَحْبُوب خَاطْرِي لبْدَا مونَس بـه
بْجَاه حُرمَة النّبِي وَآلِيه ❖ سَعدِي إذا يجينِي نَفْرَح لَمْجِيه
بْجَاه حُرمَة العَشْرَةِ اللِّي هُمَا ❖ صحَاب أهْل الجِهَاد وَالتَّوحِيد أمَّالِيه
تَذهَب النَّصَارى يَجْلُوا مِن ذا ❖ التّرَاب وتْبَيَّن العَلاَم اللِّي نَزْهَوْا فِيه

❋❋❋❋

سِيدِي الشّيخ الوَالِي ❖ يَا رَايس الأَقْطَاب الفَارِس المَعْلُوم
أَوْلَادَ رَحْل البَيْضَاء سَبْعِين دوَّارْ ❖ مَاعطَاو عَلَى بوهم سَاعَة ولا يُوم
مَن طيَاح القُبَّة مَا بقَى عَار ❖ ولا بقَى وَاحَد من السَادات محروم

❋❋❋❋

أحْنَا مْلَحقِين التَّالِي ❖ وَاحنَا نْدَمْرُوا عَدْيَانك



جِئْتُ إِلَى الحَيَاةِ فِي رَبِيعِ عَامِ 1853م... بُرْعُمٌ فِي قَبِيلَـةِ الزرِيقَات بِمَاسِين وِلاَيَة البَيَّض، هَذِهِ المَدِينَةُ التِي تَحْمِلُ عَلَـى جُـدْرَانِ مَحَلاَّتِهَا مَقَاطِعَ مِنْ أَشْعَارِي إِلَى اليَوْم، كَمَا يُرَدَّدُ فِي قِمَـمِ وَوِهَادِ وَمُرْتَفَعَاتِ أَكْسَال وَفِي فَيَافِي المنِيعَة وَالقرَارَة وَحَتَّى فِي بَشَّار صَدَى كَلِمَاتِي التِي طَالَمَا رَدَّدَهَا المُجَاهِدُون...

كَانَت البِدَايَـةُ مَعَ انْتِفَاضَـةِ أَوْلاَدِ سِـيدِي الـشّيخ سَـنَة 1864م حَيْثُ دَخَلتُ مَيْدَانَ الوَغَى منْ بَابِهِ الوَاسِعِ، شَارَكْتُ فِي عِدَّةِ مَعَارِكَ، وَكُنْتُ لَهَا دَاعِيـةً وَمُحَرِّضًـا بِالـسَّيْفِ وَاللِّـسَانِ، كَانَ شِـعْرِي لُغَـةَ خِطَـابٍ وَتَخَاطُـبٍ تَكْشِفُ العَدُوَّ الغَاصِبَ وَأَعْوَانَهُ... مِثْلَ قَاضِي النَّاحِيَّـةِ الـذِي أَصْـدَرَ فَتْـوَى بِطَلَـبٍ مِـن العَـدُوِّ تَقْـضِي بِـالحَطِّ مِـن المُقَـاتِلِينَ المُجَاهِـدِين وَوَصْـفِهِم بِالخَـارِجِينَ عَـنِ القَـانُونِ، وَمَـا أَنْ شَـاعَتْ هَـذِهِ الفَتْـوَى حَتَّـى عَارَضْـتُهَا بِقَـصِيدَةٍ مَطْلَعُهَـا (بِمَآثِرِنَـا يُهْـدَى النَّـاس) فَانْتَـشَرَتْ حَتَّـى حَفِظَتْهَـا الأَسْمَاعُ عَلَى أَوْسَع نِطَاقٍ...



وَجَاءَ القَرَارُ الفرَنْسِي فِي18 جانفي 1886م يَامُرُ بِنَفْيِي الأَبَدِي من قَبِيلَةِ أرويقات... وَإِلَى سِجْنِي بـ(كَالفِي) وَكَانَ مُبَرِّرُ العَدُوِّ هُو:

"الشَّاعِرُ يُحَرِّضُ عَلَى التَّمَرُّدِ وَيَدْعُو إِلَى العِصْيَانِ لِزَعْزَعَةِ سَيْطَرَتِنَا، فِي آفْلُو وَتيَارت وَسعيدَة وَغَيْرِهَا حَيْثُ يُرَدِّدُ قَصَائِدا يَمْدَحُ فِيهَا سِيدِي الشّيخ وَمَنَاقِب أَحْفَادِهِ الثَّائِرِين..."

وَمَا أَقْسَى غُرْبَةَ المَنْفَى عَلَى وجْدَانِ شَاعِرٍ...

وَبِمُعْجِزَةٍ غَادَرْتُ السِّجْنَ بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ حَيْثُ كَتَبْتُ أَشْعَارًا وَأَشْعَارًا،،، وَفِي القَنْطَرَة كَانَتْ نُقْطَةُ النِّهَايَةِ لِدُنْيَا حَيَاتِي الجَسَدِيَّة عَام 1905م... لِتَخْلُدَ الرُّوحُ مَحْفُوفَةً بِطَيْفِ أَشْعَارِي.

وَقَبْلَ أَنْ يَعُودَ الطَّالِبُ الشَّاعِرُ إِلَى جَلْسَتِهِ اسْتَفْسَرَهُ الأُسْتَاذ ابْرَاهِيم الشيخ فِي إِعْجَابٍ شَدِيدٍ: مَعْلُومَاتٌ جَيِّدَةٌ يَا خَالد، كَيْفَ حَصَلْتَ عَلَيْهَا؟

أَجَابَ الطَّالِبُ مُبْدِيًا افْتِخَارَهُ بِتَقْيِيم الأُسْتَاذِ:

- مَرْجَعُ أَجْوِبَتِي يَا أُسْتَاذُ هُو شَبَكَةُ المَعْلُومَاتِ العَالَمِيةِ المُسَمَّاةُ بـ(الأنترنيت) حَيْثُ عَرَفْتُ حَقَائِقَ كَثِيرَةً عَنْ تَارِيخِ بِلاَدِي....

انْبَهَرَ الحَاضِرُونَ لِذَكَائِهِ وَتَكْوِينِهِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ الأُسْتَاذُ كَثِيرًا تَقْدِيرًا لِجُهْدِهِ وَتَشْجِيعًا لَهُ عَلَى مُوَاصَلَةِ البَحْثِ وَالإِطِّلاَعِ بِالوَسَائِلِ الحَدِيثَةِ.

نُـودِي عَلَـى الفَـوْجِ الرَّابِعِ فَقَـامَ أَحَـدُهُم فِـي عِـزَّةٍ وَوقَـارٍ وَتَـقَـدَّمَ الصُّفُوفَ في خُطُوَاتٍ ثَابِتَةٍ وَعَلَى المِنَصَّةِ وَقَفَ وَقَالَ مُبْتَسِمًا:

لِكُلِّ زَعِيمٍ مَقَامٌ.. وَأَبْدَأُ كَلامِي بِالسَّلَامِ عَلَيكُم وَالصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الأَنَامِ، وَبِكَلَامِ الشَّاعِرِ مُحَمَّد بلخِير:

بوعمامة مولى سـطـوة وزيـار ❖ وأباه بني كـتاب الـنبي الـمعـصــوم

بوعمامة يعطي تسبيح الأذكار ❖ بوعـمـامـة سـره لـلـنـاس مـفـهــوم

مَن طيَاح القُبَّة مـاَ بقَـى عَـار ❖ ولا بقَى وَاحَد من السَـادات مـحـروم

راه ربي شاهد بلي نخلف الـثار ❖ أو عارف القلب اللي من خوه مهموم



أيُّهَا الجَمْعُ الكَرِيم:

اسْـمِي بُوعمَامَـة العَرِبِـي البُوشـيخِي البَكْـرِي، يَـرْتَبِطُ نَـسَبِي بِالخَلِيفَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِيق، بِقَصْر الحَمَّام الفوقَانِي وَاحَات فكِيك كَانَ مِيلاَدِي، وَتَارِيخُهُ عَام 1256هـ/1845م، جِئْتُ إِلَى الحَيَاةِ وَالمُسْتَدْمِرُ فِي أَرْضِ بِلاَدِي مُنْذُ 15 سَنَةَ، بَعْدَ 25 رَبِيعًا مِن عُمْرِي انْتَقَلْتُ إِلَى عَين الصفرَاء وَبَدَأْتُ أَنْشُرُ الدَّعْوَةَ إِلَى مُحَارَبَةِ الآجْنَبِي، كَمَا أَسَّسْتُ زَاوِيةً فِي مغرَار عَام 1872م....



وَتَمُرُّ سَنَتَانِ فِي التَّحْضِيرِ لِلقِيَامِ بِالأَعْمَالِ المُسَلَّحَةِ وَلِلإِغَـارَةِ عَلَـى القَوَافِـلِ التِّجَارِيـةِ الـصَّحْرَاوِيَّةِ وَالمَرَاكِـزِ الفرَنْـسِيَّةِ فِـي جَنُـوبِ وَهْـرَانَ، وَكَـانَ الاتِّـصَالُ بِالأَشِـقَّاءِ فِـي القَبَائِـلِ وَالعَـشَائِرِ وَاسِـعًا حَتَّـى يَعُـمَّ النِّـدَاءُ لِلجِهَـادِ وَتَحْرِيرِ رِقَابِ المُسْلِمِينَ مِنْ حَيفِ أَعْدَاءِ المِلَّـةِ وَالأَرْضِ.



وَكَانَتِ البِدَايَةُ الأَرْبِعَاء 16 فبراير 1881م بِبير الغرَامَة...

وَكَانَت نِهَايَةُ هُجُومِ الثُّوَّارِ إِبَادَةُ الحَمْلَةِ الاسْتِكْشَافِيَةِ التَّنْصِيرِيَةِ بِقِيَادَةِ الكُولُونِيل (بُول فالترس).

نَادَيْتُ بِالجِهَادِ فِي أَفْرِيل مِنَ السَّنَةِ المَذْكُورَةِ وَوَجَّهْتُ الرُّسُلَ إِلَى شُيوخِ القَبَائِلِ... وَفِي هَذَا الشَّهْرِ الرَّبِيعِي الضَّاحِكِ مِنَ العَامِ نَفْسِهِ بَكَتْ فِرَنْسَا كثِيرًا عَلَى المُلاَزِم (وَاينْرنير) قَائِدِهَا فِي البَيِّض الذِي هَزَمَهُ الثُّوَّارُ الأَحْرَارُ يوم 19 وَحَتَّى 22 مِنْ ذَلِكَ الشَّهْرِ الأَغَرِّ... فَحَزِنَتْ فرَنْسَا وَأَرْسَلَتْ قُوَّاتِهَا إِلَى (الجرَامنة وَوَادِي الحَجَل) لاعْتِقَالِي مَعَ ابْنِي مَرْزُوق وَالطّيب الثَّائِر، لَكِنَّ القَبَائِلَ الأَبِيَّةَ التَفَّتْ حَوْلَنَا وَتَمَرَّدَتْ عَلَى الشُّيوخِ المُوَالِينَ للإِسْتِعْمَارِ...



وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِن أَهْلِهَا، المُؤَرِّخ (شَارْل رُوبِير أجرون) فِي كِتَابِهِ الجَزَائِرِيون المُسْلِمُون وَفرَنْسَا:

"صَعِدَتْ جَمَاعَاتُ بُوعمامَة الثَّائِرَة يَومَ 10 مَايُو عِنْدَ اصْطِدَامِهَا الأَوَّل بِقُوَّاتِنَا، ثُمَّ تَسَلَّلَتْ عَبْرَ طَوَابِيرِنَا فَتَوَغَّلَتْ فِي نَاحِيةِ تيَارت وفرَنْدَة وَسعَيدَة وَنَهَبَتْ وَرَشَاتِ الأُورُوبِيِّين الخَاصَّةِ بِإسْتِغْلاَلِ الحَلْفَاءِ".

غَلَيَانٌ وَاضْطِرَابٌ كَبِيرَانِ في مُثَلَّثِ خَزَّانِ الحُبُوبِ (البيض، آفلو، تيارت) حَيْثُ يَجُوبُ رُسُلُ الثَّوْرَةِ المَنَاطِقَ لَيْلاً وَنَهَارًا... للتَّنْسِيقِ مَعَ الأَهَالِي الفَلاَّحِين وَالمَوَّالِين.

وكَانَت مَعْرَكَةُ مُولاَق الشَّهِيرَة وَمَعْرَكَةُ الخَيثَر بِقِيادَةِ الجِنِرَال (لايتين) وَبِحُضُورِ الرَّاهِبِ (دوفوكولت) وَمَعْرَكَةُ تَازِينَة التَّارِيخِيَّةِ التِي عَادَ فِيهَا الكولونيل (اينوسنتي) يَجُرُّ أَذْيَالَ الهَزِيمَةِ، كَمَا لاَ يَنْسَى التَّارِيخُ مَعْرَكَةَ طَرِيقِ الشَّلاَّلَة التِي خَسِرَ فِيهَا المُسْتَدْمِرُ سِتِّينَ جُنْدِيًا...

اتَّسَعَتْ رُقْعَةُ الجِهَادِ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ، اسْأَلُوا عَنَّا مَغْنِيَّة وتِيمِيمُون وَمَشْرِيَّة وَغِلِيزَان وَكَرْزَاز وَالهُقَار وَتُوَات وَأَدْرَار وَعَينْ صَالح وَالمِيزَاب وَحَتَّى سَرْسُو وَتِيهَرْت وَسُور الغُزْلاَن وَكَثِيرًا مِنَ المُدُنِ ذَات الشَّأن.

وبَعْدَ مَقْتَلِ سُليمَان بن قَدُّورْ رَئِيسِ أَوْلاَد الشّيخ خَلَفَهُ قَدُّورْ بن حَمْزَة- وَآه مِن الأَوَّل وَمِن اتِّفَاقِ الثَّانِي مَعَ الجِنِرَال (طوماسون) سَنَةَ 1883م- انْتَقَلتُ مُضْطَرًّا مَعَ أَتْبَاعِي إِلَى مَرْحَلَةِ الكِفَاحِ مِنَ القَاعِدَةِ

الخَلْفِيَّـةِ وَالأَسَاسِـيَّةِ لِلحـدُودِ المَغْرِبيَّـةِ الجزَائِرِيَّـةِ بِبُـوارَة وَإِلَـى وَاحَـاتِ (فَجِيج) حَيْثُ أَنْشَأْتُ زَاوِيَةً بِالوَادِي قُرْبَ عَين الرّهِينَة سَنَةَ 1883م.

لَمْ تُغْرِنِي عُرُوضُ سُلْطَانِ المَغْرِب وَلَمْ تُرْهِبْنِي مُعَامَلاَتُهُ، وَزَادَ فِي حَمَاسِي الفَيَّاض وَقَنَاعَتِي بِالجِهَادِ حُبُّ الوَطَنِ وَعُمْقُ الإِيمَانِ وَوَحْشِيةُ العَدُوِّ وَتَشْجِيعُ الإِخْوَانِ مِن أَولاد سِيدِي الشّيخ الشْرَاقَة والغْرَابَة فِي مكْنَاس وَفِي ورْقْلَة الـذِينَ نَاهَضُوا العَـدوَّ بِمَـوَاقِفِهِم المُتعـددِّدَةِ... وَكَـذَا مُرَاسَلاتُ المُقْرَانِي وَحُضُورُ عَبد المَالِكِ بن مُحْي الدّين بْن عَبـد القَـادِر الجَزَائِرِي.



وَبِوجْدَة مَدِينَة الفَنِّ وَالمِهَنِ شَارَكْتُ فِي المَعَارِكِ تَضَامُنًا مَعَ القَائِدِ المَغْرِبِي "بوحمارة" سنة 1905م وَكَان مَا كَان..

وَبَعْدَ أَنْ وَهَنَ العَظْمُ وَغَلَبَنِي الهَرَمُ الذِي لَمْ أَجِد لَهُ دَوَاءً، عَادَتِ الرُّوحُ إِلَى رَبِّهَا رَاضِيةً مَرْضِيةً فِي وَادِي (بودريم) يَومَ الأَرْبِعَاء 07 أكتوبر 1908م....

كَانَ الأُسْتَاذُ ابْرَاهِيمُ الشّيخ يَنْظُرُ إِلَى سَقْفِ حُجْرَةِ الدَّرْسِ مُحَاوِلاً إِخْفَاءَ عَبَرَاتِ الدَّمْعِ الفَائِضَةِ فِي عَيْنَيهِ تَأَثُّرًا بِأَخْبَارِ البَطَلِ بُوعمامَة وَقَدْ تَذَكَّرَ الأُغْنِيةَ التِي كَانَت أُمّهُ تُرَدِّدُهَا فِي صِبَاه بِصَوتِهَا الرَّقِيقِ العَذْبِ...

وَعَادَ بَصَرُهُ إِلَى حَاضِرِ المَشْهَدِ بَعْدَ أَنْ عَادَ الطَّالِبُ إِلَى مَكَانِهِ مَحْفُوفًا بِالتَّصْفِيقِ التِّلْقَائِي لِزُمَلاَئِهِ إِعْجَابًا وَتَقْدِيرًا، لَكِن الطَّالِبَ رَجَعَ إِلَى المِنَصَّةِ مَرَّةً ثَانِيةً كَأَنَّهُ نَسِي شَيْئًا خَشِي أَنْ يَسْقُطَ مِن غرْبَالِ ذَاكِرَتِهِ قَبْلَ البَوْحِ...

قَالَ وَالأَعيُنُ تَرْقُبُهُ:

نَسِيتُ إِعْلاَمَكُمْ بِأَنِّي عَرَفْتُ الجَوَابَ عَن السُّؤَالِ المُعَلَّقِ عَلَى عَاتِقِ الأُسْتَاذِ مُنْذُ شُهُورٍ..عَرَفْتُ أَنَّ صَدَى ثَوْرَةِ بُوعمامَة وَأَوْلاَد سِيدِي الشّيخ امتَدَّ بَعْدَ قَرْنٍ لِيُغَيِّرَ اسْمَ الثَّانويةِ القَرِيبَةِ مِنْ مَقَرِّ رِئَاسَةِ الدَّوَلةِ، فَاعْتَلَى نَاصِيتَهَا (بُوعمَامَة) مَكَان (دِيكَارْت) الفَيلَسُوف الفرَنْسِي.

تَنَفَّسَ الأُسْتَاذُ الصُّعَدَاءَ وَابْتَهَجَ حَتَّى كَادَ يُعَانِقُ الطَّالِبَ... أَثْلَجَ صَدْرَهُ هَذَا الاستِنْتَاجُ الذِي قَدَّمَهُ الطَّالِبُ، دَلِيلُ نَجَاحِ الدَّرْسِ فَسَأَلَهُ وَالغِبْطَةُ تَمْلأُ وِجْدَانَهُ مِنْ أَيْنَ حَصلْتَ عَلَى هَذِهِ المَعْلُومَاتِ يَا بَطَلَ الأَبْطَالِ؟!!

أَجَابَ الطَّالِبُ فِي زَهْوٍ غَامِرٍ: إِنَّ النَّقْلَ الشَّفَوِي هُو الذَّاكِرَةُ الحَيَّةُ وَالشَّهَادَةُ الحَاضِرَةُ، وَالذَّاكِرَةُ هِي الشَّعبُ... بَحَثْتُ فِي ذَاكِرَةِ الأَحْيَاءِ فَجُبْتُ الأَغْواطَ والحساسنة وأكسال والبيَّض وَسَأَلتُ الكُتُبَ وَالصُّحُفَ وَزُرْتُ المَرَاكِزَ وَالمَتَاحِفَ...

لَكِن الوُجُومَ عَادَ إِلَى مُحَيَّا الأُسْتَاذِ... لَمْ يَسْتَمِعْ إِلَى بَقِيَّةِ كَلاَمِ الطَّالِبِ... عَاوَدَهُ الشُّرُودُ بَعْدَ أَنْ تَذكَّرَ أُمَّهُ وَحُزْنَ جَدَّتِهِ بَعْدَ حَادِثَةِ قُبَّةِ سِيدِي الشّيخ... سَأَلَ طَلَبَتَهُ عَلَى حِينِ غَرَّةٍ:

مَن يُخْبِرُنَا بِقِصَّة القُبَّة التِي حَطَّمَهَا الضَّابِط الفرَنْسِي الكولونيل نيقري؟ فَتَقَدَّمَ أَحَدُ الطَّلَبَة بَعْدَ الاستِئْذَانِ، وَقَالَ:

القُبَّةُ التِي هَدَّمَهَا الجَيْشُ الفرَنْسِي كَانَت تُعَدُّ يَوْمَئِذٍ مَرْكَزَ إِشْعَاعٍ حَضَارِي يَؤُمُّهُ الزُّوَّارُ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ وَصَوْبٍ، وَرَمْزًا لِلأَصَالَةِ وَالشَّخْصِيةِ وَمَبْعَثَ الأَفْكَارِ الرُّوحِيةِ التِي بَثَّهَا سِيدِي الشّيخ فِي نُفُوسِ السُّكَّانِ وَالتِي أَنْجَبَتْ رُوحَ المُقَاوَمَةِ لَدَى أَوْلاَدِهِ وَأَحْفَادِهِ الذِين كَانُوا يَتَعَاهَدُونَ تَحْتَهَا (القُبَّة) قبْلَ الانْطِلاَقِ لِلْجِهَادِ.

كَانَ يَومُ التَّهْدِيمِ زِلْزَالاً وَنَكْسَةً ثُمَّ حِدَادًا عِنْدَ السُّكانِ وَكَانَ تَكْرِيمًا مِنَ المُعَمِّرِين للضَّابِطِ (نيقري) تَمَثَّلَ فِي هَدِيَّةٍ - سَيفُ تَشْرِيفٍ-لَهُ.

لَكِنَّ الشَّعبَ البَطَلَ أَعَادَ بِنَاءَ القُبَّةِ الرَّمْزِ، رَمْزُ الأَرْضِ وَالعِرضِ وَالعَقِيدَةِ وَالعِشْقِ الخَاصِّ لِقِيمِ الثَّورَةِ وَالجِهَادِ فَقَامَتْ هَذِهِ المَنَارَةُ مِن جَدِيدٍ عَام 1883م وَصَارَتْ مُنْذُ ذَلِكَ العَهْدِ رَمْزًا لِمَلْحَمَةِ الخُلُودِ فِي أَرْضِ الجُدُودِ...

عَقَّبَ الأُسْتَاذُ ابْرَاهِيم الشّيخ عَلَى كَلاَمِ الطَّالِبِ فِي إعْجَابٍ كَبِيرٍ:

- نَعَمْ إِنَّهَا مَلْحَمَةُ الخُلُودِ، مَلْحَمَةُ التَّارِيخِ فِي جِهَادِ أَولاَدِ سِيدِي الشّيخ، وَيَوْمُنَا هَذَا يُعْتَبَرُ إِضَافَةً إِلَى أَيَّامِهَا الخَالِدَةِ.

